الأخوة الإسلامية: المفهوم والأساس

للأخوة الإسلامية مفهومها المحدد، وأساسها الذي تقوم عليه، فمن حيث المفهوم:

يقصد بها تلك الرابطة التي تجمع بين مجموعة من الأفراد ارتضوا أن يتجمعوا تحت لواء رابطة تربطهم هي «الأخوة الإسلامية» التي تتخذ من الأشكال ما يناسب التطور الذي وصلت إليه أحوال المجتمعات.

فالأخوة الإسلامية تعنى التنظيم الذي أقامه الإسلام ليجمع الفريق الذي استجاب لدعوته، والإطار الذي من خلاله يستطيع هؤلاء أن ينظموا أنفسهم.

هذا هو مفهوم الأخوة الإسلامية، فما هو الأساس الذي تقوم عليه؟.

يؤمن الإسلام بأهمية العقل البشرى الذي جعله مناط التكليف والمحاسبة في الدنيا والآخرة. وهو بالتالي يؤمن بإعطائه الحرية المطلقة في اختيار ما يحدد هويته، والسبيل الذي يبذل فيه جهوده. إن الإنسان ـ ومناط تكليفه العقل ـ قد اختاره الله تعالى لحمل الأمانة دون بقية خلقه، وسيحاسبه على هذه الأمانة بصفته الفردية ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا﴾[مريم:٩٥] ومقتضى هذه المسئولية والمحاسبة الفردية عليها، أن يكون للإنسان الحرية المطلقة ليحدد لنفسه انتماءها.

ومن هذا المنطلق ينظر الإسلام إلى كل الفِكَر التي يتجمع الناس حولها في القديم والحديث، فما يوافق احترام العقل يقره، وما لم يوافق ذلك يشجبه.

ولنناقش الأفكار التي يتجمع البشر اليوم حولها أو تجمعوا حولها بالأمس لنرى إن كانت تثبت أمام هذا المقياس، مقياس احترام العقل.

١- إن فكرة الجنس مثلا هي مجرد اشتراك في الدم أساسه نطفة الأب والأم التي تخلق بين الناس رابطة تتسع لتكون أسرة ثم قبيلة ثم جنساً، فهل يستطيع الإنسان أن

يختار الجنس الذي يولد منه وينتمي إليه؟ إنه لا دور له في ذلك، فكيف يكبل إذا بهذا القيد؟ وأي سبب يدعوه للفخر بأنه من هذا الجنس أو ذاك؟

إن التجمع على أساس الجنس لا يمت إلى الاختيار والحرية بأدنى وشيجة.

٢- أما وحدة اللون فليست وهما فقط، وإنما هي لغو باطل فوق ذلك، فاللون صفة بدنية وخاصة جسدية لا أكثر ولا أقل، والإنسان شرف بإنسانيته وليس بلون بشرته ـ ودعاة التفرقة العنصرية لا يفرقون بين لبن البقرة الصفراء ولبن البقرة البيضاء فلماذا يتفرق البشر تبعا لألوانهم؟

ولقد شجب الإسلام هذه العناصر منذ أول لحظة له على ظهر الأرض، فبخصوص الرابطة الجنسية يقرر أن أصل الإنسان واحد ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[النساء:١] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[الأنعام:٩٨] فليس من الضروري أن يرتبط الإنسان بمساحة من الأرض يذل فيها أو يهان، ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾[النساء:٩٧]، ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾[النساء:١٠٠] فاختلاف الأجناس والقبائل والشعوب إنما هو للتعارف لا للاختلاف والتباعد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣].

وهكذا لا نجد في الإسلام كلمة تؤيد القومية أو العنصرية أو أي لون من ألوان العصبية، بل نجده يشن عليها حربا شعواء: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»[1]. وقرر تساوى الجميع: «يَا أَيُّهَا

(١) رواه أبو داود في سننه، رقم ٥١٢١.

النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى»[1].

وهكذا قوض الإسلام الأسس المادية التي بنيت عليها القوميات المختلفة في العالم، حيث إنها لا تستند إلى عقل أو منطق. لقد قوض الإسلام كل ما تقوم عليه فكرة الدولة القومية التي خلقتها أوربا للعالم. ولكن أي أساس يقره الإسلام للتجمع؟

الأساس الذي يقره الإسلام للتجمع: عندما شجب الإسلام الأسس المادية التي يتجمع حولها البشر، امتهانا منهم للعقل وضربا في متاهات الجهل، فإنه بني وحدة جديدة على أسس عقلية مغايرة، تحترم العقل وتعطيه حقه في الاختيار، تمهيدا لتحمل المسئولية وتلقى الجزاء. هذه الأسس تعتمد في جوهرها على الاختلاف الروحي الجوهري لا على الفرق المادي الأرضي، فوضع أمام الإنسان حقيقة فطرية هي الإسلام، من استجاب لها فهم أمة الإسلام أيا كانت أجناسهم أو ألوانهم أو لغاتهم أو موطنهم.

وهكذا أتيح للإنسان أن يختار القومية التي ينتمي إليها لأول مرة في التاريخ البشرى، قومية تقوم على فكرة يستطيع العقل أن يقبلها كما يمكنه أن يرفضها دون إكراه على شيء، ومن خلال هذا الاختيار يختار الإنسان المعسكر الذي يبذل جهوده في سبيله، ويختار بالتالي طريقه إلى ربه. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق:٦]

(١) رواه أحمد في مسنده، رقم ٢٣٤٨٩.